وراء الادعاءات المضللة: المرأة والرجل في الإسلام

صلاح الدين ألتونداغ[1]

في الأيام الأخيرة، ظهرت أقوال بعض الأشخاص الذين تعرضوا لمعلومات غير صحيحة، مدعين أن الإسلام يميز ضد النساء، يعرضهن للعنف، ويبعدهن عن المجتمع والحياة الاجتماعية، ويحتجزهن في المنازل.

للإشارة إلى مدى عدم توافق هذه الادعاءات مع جوهر الإسلام، أود أن أركز على حديث واحد من النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

عبر التاريخ، أكد الإسلام على المساواة بين البشر وأبرز هذا المفهوم في كل فرصة. واحد من أجمل الأمثلة على ذلك هو الحديث الشريف الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم :

"الناس سواسية كأسنان المشط، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى[2]".

هذا الحديث يشير إلى أن الإسلام لا يعمل على التمييز بين الجنسين، بل يركز على نوايا وأعمال الأشخاص. المقارنة بأسنان المشط تُظهر أن الأشخاص متساوون من حيث الخلق، كما أن أسنان المشط متساوية ومتشابهة. لا يُعد أحد الأسنان أفضل أو أسوأ من الآخر، تمامًا كما لا يُعد الأشخاص أفضل أو أسوأ بناءً على جنسهم أو لونهم أو وضعهم الاجتماعي.

---

[1] دكتور وأستاذ مساعد، جامعة ديجله، تركيا

[2] **الراوي**: الحضرة سهل بن سعد (رضي الله عنه)
المصدر: رموز الأحاديث، الصفحة ٢٣٨، الحديث الرابع .

الأسباب وراء استخدام نبينا صلى الله عليه وسلم مثل "أسنان المشط"

هناك العديد من الأسباب التي دفعت النبي محمد صلى الله عليه وسلم لاستخدام مثل "أسنان المشط:"

1. أسنان المشط تكون متوازية وتبعد كل منها عن الأخرى بمسافة متساوية. وهذا يرمز إلى المساواة والعدالة بين الرجل والمرأة.

2. أسنان المشط لا تستطيع أن تؤدي وظيفتها بشكل منفصل. أي أنه عندما تفترق أسنان المشط، فإن المشط يصبح غير فعال. وهذا يعني أن الرجال والنساء يحتاجون بعضهم البعض، وعندما يعملون معًا، يستطيعون أن يحافظوا على عمل المجتمع بأكمله بكفاءة.

3. كل سن في المشط له نفس الأهمية مثل الآخر، أي أن ليس هناك سن فوق الآخر أو أقل أهمية. وهذا يمثل المساواة بين الرجال والنساء والاحترام والقيمة بينهم.

لذلك، استخدام النبي صلى الله عليه وسلم لمثل "أسنان المشط" يوضح بشكل رائع أن الرجال والنساء يجب أن يكونوا متساوين، لا يمكن فصلهم، ويجب أن يحترموا بعضهم البعض.

قال نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم أن جميع البشر، بغض النظر عن الجنس، العرق، الوضع الاجتماعي أو الثروة، يجب أن يعتبروا متساويين. ولكن، فقط العبادة هي التي تحدد مدى تفوق شخص على الآخر. وهنا، العبادة ليست مقتصرة فقط على الطقوس الدينية مثل الصلاة أو الصوم. بل تشمل أيضًا الأعمال الخيرية مثل التراهة، الكرم، العمل الصالح، العدالة، الرحمة، والتعاطف مع الناس وجميع الكائنات الحية.

هذا الحديث، من ناحية، يُمثل ردًا على التمييز الذي تقوم به المجتمعات على أساس الجنس، والتمييز والضغوطات المُنتهجة. من ناحية أخرى، يُركز الفرد على عالمه الداخلي، ونواياه وأعماله. فليس الوضع الاجتماعي الذي نعيش فيه، أو جنسنا، أو ثرائنا أو فقرنا ما يُحدد قيمتنا الحقيقية، بل هي النوايا التي نحتضنها في أعماق قلوبنا والأعمال التي نقوم بها تبعًا لها.

هذا الحديث الشريف يُشجع الأفراد أيضًا على مقاومة ضغوط المجتمع وتحيزاته، والتركيز على كيف يرون أنفسهم في عيون الله. هو واحد من العديد من التعاليم التي تُؤكد على مبدأ العدالة والمساواة بين الرجال والنساء في الإسلام. تُظهر أقوال نبينا صلى الله عليه وسلم أن النساء والرجال متساوون، ومكملون لبعضهم البعض كأسنان المشط.

مع ذلك، من المهم ألا نفهم هذه المساواة على أنها متماثلة تمامًا. الإسلام يعترف بوجود فوارق بيولوجية ونفسية بين الجنسين، لكنه يُؤكد على أن هذه الفوارق لا تجعل جنسًا معينًا أفضل أو أقل من الآخر. لكل جنس أدواره ومسؤولياته وحقوقه، وهذا التوازن ضروري لوظيفة المجتمع الصحية.

لنُوضح هذا الموضوع أكثر من خلال بعض الأمثلة:

1. **الاختلافات البيولوجية:** الإسلام يعترف بوجود فوارق بيولوجية بين الجنسين. على سبيل المثال، النساء قادرات على إنجاب الأطفال والرضاعة، بينما لا يمتلك الرجال هذه القدرات. هذا يُظهر وجود فرق في الأدوار بين الجنسين، لكن هذا الفرق لا يشير إلى تفوق جنس على الآخر. كلا الجنسين لديهم أدوار مهمة في المجتمع بالتساوي.

2. **الاختلافات القائمة على الأدوار الاجتماعية:** الإسلام يعترف بأن هناك اختلافات في الأدوار الاجتماعية بين الرجال والنساء. حسب الإسلام، يقع على عاتق الرجل مسؤولية كسب رزق الأسرة، في حين ليس هذا هو الحال بالنسبة للمرأة. بدلاً من ذلك، قد تلعب المرأة دورًا أكبر في تربية الأطفال وإدارة المترل (وهذا ليس واجبًا). قد تتغير هذه الأدوار من مجتمع إلى مجتمع ومن فرد إلى فرد، ولكن بشكل عام، تُعتبر هذه الأدوار وسيلة للتعبير عن الاختلافات والتكامل بين الجنسين.

هيكلية المجتمع من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية يمكن أن تحدد الأدوار الاجتماعية التي يُطلب من الجنسين تأديتها. الإسلام يقبل بالهيكل الذي يتطلب من الرجال أن يكونوا المعيلين الرئيسيين للأسرة، بينما قد تُركز المرأة أكثر على رعاية الأطفال وأعمال المترل. لكن هذا ليس قاعدةً ثابتةً أو دائمة. العديد من العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية تلعب دورًا في تحديد هذه الأدوار. فعلى سبيل المثال، في بعض المجتمعات قد يكون هناك نسبة عالية من المرأة في سوق العمل. في مثل هذه الحالات، قد تتحمل المرأة أيضًا مسؤولية توفير الرزق للأسرة. وهذا قد يدفع الرجال إلى تحمل المزيد من المسؤوليات المترلية ورعاية الأطفال.

على الصعيد الفردي أيضًا، قد تظهر تغييرات في هذه الأدوار. قد لا يتوافق كل رجل أو امرأة مع التوقعات الاجتماعية أو القواعد، وقد يحددون أدوارهم بناءً على مواهبهم واهتماماتهم وتفضيلاتهم. فمثلاً، قد تختار المرأة الانخراط بنشاط في العمل وبناء مهنة، بينما قد يختار الرجل وظيفة مرنة للعناية بأطفاله. أو قد يقرر الوالدان مشاركة المسؤوليات المترلية والعمل بالتساوي. كل هذا يعتمد على الاتفاق المتبادل بين الطرفين وفقًا لما يجوز شرعًا.

لذلك، الأدوار الاجتماعية التي يقبل بها الإسلام ليست قواعدًا صلبة أو ثابتة. مجموعة متنوعة من العوامل على المستوى الاجتماعي والفردي تحدد كيف يتم توزيع وتنفيذ هذه الأدوار. المهم هو أن هذه الأدوار لا تؤثر على المساواة بين الجنسين والاحترام المتبادل، وأن يتمكن كل فرد من استخدام مواهبه وتفضيلاته داخل الحدود الشرعية بأفضل شكل ممكن.

نعم، وفقًا لتعاليم الإسلام الأساسية، يقع على عاتق الرجل مسؤولية العناية المالية بأسرته. هذا ما يُعرف بالنفقة أو واجب الإنفاق، وهو قاعدة محددة في الشريعة الإسلامية. توضح هذه القاعدة أنه يتوجب على الرجل توفير الاحتياجات الأساسية مثل الطعام والملبس والسكن لزوجته وأطفاله. هذا الواجب هو جزء من عقد الزواج الذي يقبل به الرجل.

ومع ذلك، هذا لا يمنع النساء من العمل أو أن تكون مستقلة ماليًا. يُمكن للنساء أن يحصلن على التعليم، ويمتلكن أعمالًا، ويكسبن دخلًا خاصًا بهن. لكن الشرع الإسلامي يوضح أنه ليس عليهن استخدام هذا الدخل في الإنفاق على أسرهن. ما يكسبه النساء من مال يعود لهن بالكامل ويمكنهن استخدامه كيفما شئن.

ومع ذلك، في العديد من المجتمعات المعاصرة، يميل الرجال والنساء إلى مشاركة العبء المالي للأسرة. هذا يعتمد على عوامل متنوعة، ولكنه عادةً ما يتعلق بمشاركة النساء بشكل أكبر في سوق العمل وحاجة الأسر إلى دخلين. تظهر هذه الحالات مرونة الشريعة الإسلامية وقدرتها على التكيف مع ظروف الحياة المعاصرة.

3. حقوق وواجبات دينية: في الإسلام، لكلا الجنسين حقوق وواجبات في ممارسة العبادات الدينية. مثلاً، يتوقع من النساء والرجال أن يؤدوا الصلاة، ويصوموا،

ويزكوا، ويحجوا (عندما تسمح الظروف المادية والجسدية). هذا يعد مؤشراً آخر على مبدأ المساواة بين الجنسين في الإسلام.

تُظهر هذه الأمثلة فهم الإسلام للمساواة بين الرجل والمرأة. ومع ذلك، هذه الأدوار والمسؤوليات المختلفة لا تقلل من احترام الجنسين لبعضهما البعض وقيمتهما المتساوية. بل تُظهر أهمية كل من الجنسين بشكل متساوي للمجتمع.

هذا الحديث، الذي هو دليل بسيط ولكن ذو معنى عميق من بين آلاف الأدلة، يُظهر التركيز الذي يُوليه الإسلام على المساواة بين الرجل والمرأة. ولذلك، الادعاءات التي تقول إن الإسلام يظلم النساء، أو يميز ضدهن، أو يعرضهن للعنف، أو يعزلهن من المجتمع والحياة الاجتماعية، أو يحتجزهن في المترل، لا تعكس تعاليم ديننا الحقيقية .

إصدار الأحكام حول تعاليم الإسلام الحقيقية دون فهمها، أو استناداً إلى معلومات سطحية أو دعاية مضللة، ليس فقط منهجًا غير عادل، ولكنه أيضًا ظلم لهذا الدين السامي. نصيحتي هي أن نعود إلى جوهر الإسلام، والأحاديث، والقرآن الكريم لاكتشاف تعاليمه الحقيقية بشأن الرجل والمرأة.

على مر السنين، تشكلت في العديد من المجتمعات سوء تفاهمات وتحيزات بين الجنسين. ولكن التعاليم الحقيقية للإسلام تُبرز المساواة بين الرجل والمرأة، وتوفر إطاراً يُمكن لكل فرد أن يستخدم مواهبه واختياراته بأفضل طريقة ممكنة.

إن نظرة الإسلام للنساء والرجال تذكرنا بأن الإنسانية في جوهرها متساوية، وهي تحتاج بعضها البعض وتكمل بعضها البعض. لذلك، فهم الإسلام والعيش بموجبه ليس فقط من

خلال القيام بالشعائر الدينية، بل هو أيضا تعزيز المساواة والعدالة والاحترام المتبادل في المجتمع.

لقد وجد الإسلام منذ ١٤٠٠ عام وقدم للناس حياة كالجنة على الأرض. قبل أن يُلقى الضوء على قضايا مثل المساواة بين الجنسين، قد اعتنق الإسلام هذه القيم. ومع ذلك، حتى في العصور الحديثة من العالم، كانت النساء في بعض المجتمعات الغربية تُعتبر مواطنين من الدرجة الثانية، وكانت هناك حتى مناقشات حول إنسانيتهن. هذا الوضع، الذي يناقش ما إذا كانت المرأة إنسانًا أم لا، هو فعلاً مخزٍ. بعض المجتمعات الغربية قد رأت المرأة على أنها مجرد أداة أو وسيلة للحاجة.

لذا يجب أن توجه الانتقادات أولاً إلى هذه المجتمعات التي ظلمت نساءها حتى منتصف القرن العشرين، مثل الإنجليز الذين كانوا يبيعون نساءهم في الأسواق. انتقاد التعليم المضيء للإسلام يشبه البحث عن عيوب في سطوع الشمس، وهذا مقاربة مضللة.

يجب ألا ننسى أن المسلمين في هذا العصر أكثر وعيًا وخبرة مقارنة بالأجيال السابقة، ولديهم القدرة على الرد بثقة على هذه الانتقادات. لذلك، يجب أن نكون حذرين في حديثنا.